مجريات الصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلي، أو في مجريات العلاقات العربية ــ الفلسطينية.

هذا الكلام لا يراد به القول بأن العامل القومي في الصراع العربي ــ الاسرائيلي عامة قد زال أو أنه مرشح للزوال في وقت قريب، كل ما في الأمر أن تأثيره يتضاءل على الساحات العربية لحساب تأثير تناقضات المصالح الطبقية في المجتمعات العربية، وهو تأثير متصاعد وتصاعده ناجم عن احتدام عملية التمايز الطبقي المرافقة لنمو وتطور هذه المجتمعات. وسواء توافق هذا مع الرغبات والقناعات السائدة أو مسها، فهو أمر لا بد من ملاحظته وأخذه في الحسبان.

دروس الحرب

والآن، اذا شئنا أن نجمل أهم الدروس التي استخلصها، أو يمكن أن يستخلصها، الجانب الفلسطيني نتيجة لهذه الحرب وما رافقها من ردود فعل سلبية وايجابية، فان أكثرها أهمية يندرج فيما يلي:

أولاً ــ بروز القدرة الفلسطينية على التعاطي مع آلة الحرب الاسرائيلية بالرغم من التفوق الخارق لهذه الآلة، وذلك دون تهيب. وقد كان حجم الهجوم الاسرائيلي وامتداده على مدى بضعة أشهر مناسبة سمحت باختبار أدوات وأساليب المواجهة الفلسطينية المعتمدة أو المبتكرة، مما أغنى العسكرية الفلسطينية بخبرات وفيرة، وهيأ لها امكانيات واسعة لتطوير أوجه نشاطها المتعددة في الدفاع والهجوم، فضلاً عن توفر العدد الكبير من الكوادر والمقاتلين الذين عبروا اختبار النار وامتحنوا قدرتهم على الثبات في أقسى الظروف وعلى التعاطي مع أعقد المهمات التي تتطلب الجرأة والكفاءة العالية.. والحال أن لدى العسكرية الفلسطينية الآن، وخصوصاً كنتيجة للحرب الأخيرة واختباراتها، ثروة من الخبرات المكتسبة والتقاليد الملهمة لا بدّ أن تأخذها كافة الأطراف المعنية بالصراع الاسرائيلي ــ الفلسطيني بعين الاعتبار. وما كان يقال عن مزايا حرب الشعب وعن الأوقات التي تأتي فتتحول فيه الى حرب نظامية حاملة مزايا انطلاقها من حرب غير نظامية، جرى بالفعل اختباره على نطاق واسع لم يسبق أن تهيأ للمقاتل الفلسطيني قبل هذه الشهور الثلاثة. ولا بد أن يكون لدى القادة الفلسطينيين الذين رافقوا تجربة القتال وشهدوا تطوراتها في هذه الحرب الكثير مما يقولونه في هذا المجال.

ثانياً ــ سقوط العديد من الأوهام حول قومية المعركة، وبالتالي تعزيز الاتجاه المتنامي منذ مدة لتغليب الاعتماد على النفس. ويرتبط بهذا تغلب الرغبة في تأكيد الاستقلالية الفلسطينية من كل الوجوه: استقلالية الموقف واستقلالية القرار واستقلالية التنظيم. وهذا يعني مزيداً من الحذر ازاء تدخلات الدول العربية في الشؤون الداخلية الفلسطينية ومزيداً من المقاومة لهذه التدخلات، كما يعني الأمرين ذاتهما ازاء محاولات هذه الدولة العربية أو تلك للتأثير في المصير الفلسطيني بما يتلاءم مع مصالحها ويتعارض مع التقديرات الفلسطينية للحاجات المطلوبة لتأكيد حق المصير المستقل. وقد يكون من السابق لأوانه التنبؤ بحجم التعقيدات التي ستنجم عن صراع الارادات العربية المتفرقة، المتفقة أو المتعارضة في ما بينها، مع ارادة الاستقلال الفلسطيني، ومع ذلك يظل من